

رِثَاءِ صَخْرٍ: الخنساء

الرثاء: فنّ البكاء على الميت. وهو التعبير عن احساس الشاعر العميق بالحزن قبل الموتى، ومحاولة ذكراهم بتمجيدهم وبيان فضائلهم التي ماتت بموتهم، مع تفكير بالقدر وقصور الناس امامه وحقيقة الموت والحياة. وقد ينتهي هذا التفكير الى معان فلسفية عميقة... فالحياة ظلّ لا يدوم.

للرثاء في الأدب العربي محل واسع اشتهر فيه المهلهل والخنساء في الجاهلية، وجرير في العهد الأموي، وابن الرومي في العهد العباسي.

الخنساء: هي تماضر بنت عمرو السّلميّة. نشأت عزيزة الجانب في كنف والد مزهو بابنين له هما معاوية وصخر. وكانت من أجمل نساء زمانها. لم تتوفّق الخنساء في زواجها، فكان زوجها الأول متلافاً وكان أخوها صخر يشاطرها هي وزوجها أمواله في غير حساب، ويعطف عليها كلما خيم الفقر على دارها، فكان له في نفسها أرقّ الحبّ وأشدّ الإيثار.

قتل، شقيق الخنساء ثم أخوها لأبيها صخر، فجزعت عليها أشدّ الجزع، وبكتهم بكاء مرّاً، وكان أعظم وجدها على أخيها صخر، وقد انفجرت سدود الأسى في نفسها شعراً غنياً بالعاطفه، وما زالت كذلك حتى عُميت.

حصّت الخنساء اولادها الاربعة على القتال في حرب القادسية، فقتلوا جميعهم، وتوفيت الشاعرة في البادية نحو سنة 664 م زمن خلافة معاوية بن ابي سفيان.

للخنساء ديوان في الشعر ينطوي على مقطوعات وقصائد اكثرها في الرثاء، وبعضها في الفخر. وقد خصّت اكثر شعرها في رثاء صخر الذي قتل نحو عام 615 م، فسكبت عليه أحرّ دموعها وراحت تستحثّ العينين على البكاء، وتستعيد الذكريات، وتعد المناقب، وتنحب بالدموع... تمثال المروء والبطولة

كان بشار بن برد يقول: "لم تقل امرأه شعراً إلا ظهر الضعف فيه فقيل له: " وكذلك الخنساء؟" فقال: "تلك التي غلبت الرجال.. وقال لها الناغمة الذبياني، وقد أنشدته بسوق عكاظ قصيدتها التي مطلعها:

قذى بعينك أم بالعين عوار إن ذرّفت إذ خلت من اهلها الدار

لولا أنّ ابا بصير (يعني الأعشى) انشدتني قبلك، لقلت إنك اشعر من بالسوق".

شرح الآيات

1- القذى: ما وقع في العين. ذرّفت: قطرت قطراً متتابعاً. أن خلت: أي لأن خلت. ما الذي يذيب عينيك دموعاً يا خنساء؟ أقذى أم وجع في العين أم خلو الدار من ساكنيها؟

2- كأن عيني: أي دموع عيني. المدرار: الغزير. ليس شيء من ذلك، بل ذكرى

صخر تلوح في النفس فتفيض العين بسيل من الدموع. والذكرى لا تزول والدموع لا تجفّ.

3- تبكي: الضمير للخنساء. العبرى: التي لا تجف دموعها، ولهت: اشتدّ جزعها، حزنت. الأستار: طبقات التراب فوق الميت. من جديد الترب: التراب الجديد وهذا يدلّ على قرب موت صخر.

اصبحت كثيره الدموع، وأنا أرى أنّ التراب والحجارة التي أهيلت على صخر جديدة. فقبره لم يجف بعد، فكيف تجف دموعي.

4- خناس: معدول عن الخنساء. الرنين: البكاء، مقتار: الضعيفة المنكسره فهي مقصّرة في ايفانه حقّبه، ما تنفك لا تنقطع عن البكاء.

والخنساء ما بين هذه وتلك ضعيفه منكسره تقضي حياتها باكية هذا البكاء مسموع رغم ضعف صحتها وقد اعتبرت نفسها مُقصّرة في ايفاء صخر حقه.

5- وحقّ لها: أي كان البكاء حقيقاً بها وهي حقيقة به . رابها: اوجها بشدائده: صرّار: شديد الضرر أي أصابها بمكروه.

ما زالت الخنساء تبكي على صخر وكان هذا البكاء حق من حقوقها ولا تلام عليه، لأن الدهر اصابها بمكروه فهو يوقع الضرر دائماً، وهي واقعه تحت وطأته وصروفه.

6- العجول: الثكلى من الإبل التي فقدت ولدها، سُميت كذلك لعجلتها في مجيئها وذهابها ... البو: أن ينحر ولد الناقة فيؤخذ جلده ويمشى ويدنى من أمّه فترأمه بعد ان تظّنه ولدها. ويفعلون هذا لتبقى الناقة تدرّ اللبن. اعلان واسرار: المقصود تحنّ اليه بصوت مخفوض واخر مرتفع.

إنني من يوم فارقتي صخر أشد وجعاً من الناقة الثكلى التي تطيف بالبو وتذوب أئيناً وحنيناً وهي تحنّ عليه بالصوت المعلن، وبالشعور الدفين العميق.

7- بأوجد: أشدّ وجدًا جزعًا. احلاء وامرار: الدهر يأتي بما يسرّ وما يحزن، بالحو المحبوب والمرّ المكروه.

أنني أشد حزنًا وجزأ منذ فارقتي صخر، قارنوا العجول مع حالي، واعلموا أن الدهر خوآن، يسرّك قليلاً وبسوء كثيراً.

8- سيدنا: زعيمنا. نحّار: كثير الذبح، من يذبح الابل والمواشي. نشتو: ندخل في الشتاء. وخصته لأنه زمن الجذب والشدة فيكثر فيه الطارق طالبا الطعام.

لقد مات صخر، وكان السيّد والزعيم، وعندما ندخل في الشتاء يكثر الذبح لإطعام الطارقين. وهذه منة الاشراف والأجواد. وقيل "شريف القوم يُطعم العديد".

9- مقدم: شجاع يهجم ولا يهاب الموت. عقار: صيغه المبالغة من عقر، وعقر الابل أي حصد قوائمها بالسيف لكي لا تشرّد وقت النجر

صخر شجاع حين يلزم الأمر، يمتطي الخيل لخوض المعارك. وعندما كان يجوع

القوم، كان كثير الذبح لإطعام الجائعين.

10- الجلد: الشديد القوي، الصبور الورع: المتجنب لما فيه إثم الروع: الخوف والحرب. المسعار: مؤقّد نار الحرب. جميل المحيّا: جميل الطلعة. كامل الاوصاف: تتجسد في صخر جميع الصفات المطلوبة في الرجل.

صفات صخر وفضائله كثيرة: فهو شجاع، جميل الطلعة، كامل الخلق، يبتعد عن الإثم ويترفع عن المحرمات، يأتمر الجيش لأمره، فهو يعلن الحرب ويشعلها.

التحليل الأدبي:

هللك صخر: زين العشيرة، واولهم حلماً وجوداً وشجاعةً وجمالاً ومن قبله هلك معاوية، وكانا على ما روى ابو عبيده أجمل رجلين في العرب. وعاشت الخنساء محنتها وهي تفقد اخويها واحداً بعد الاخر... وقبل ذلك ترملت.

الدمع سلاح الخنساء في وجه القضاء، تبذله في غير حساب، وتلجأ إليه في كل ساعة. إنها المرأة المفجوعة التي فقدت سندها في الحياة، فراحت تبكي حتى تفرّحت جفونها، تبكي أخاها، وتستمطر على قبره الدموع متسائلة عن السبب الذي أذابَ عينيها.

_أتراه قذى من الأقداء التي تفيض بها الصحراء عند تهبّ الرياح وتنشر الرمال والاشواك في الفضاء؟

_أم نراه رمداً خبيثاً يعصر العين عصرًا وما كان اكثر الرمذ في عهد البداءة وفي بلاد الحرّ يكوي الجفون ويسيل الدموع؟

-أم تراه داراً خلت في مساكينها؟ فقامت الشاعرة على طريقة غيرها من شعراء الجاهلية، تبكي الديار والاحبة.

لم يكن السبب شيئاً من ذلك، انما هو ذكرى صخر على اطلال نفسها، والجاهليون شعراء الذكرى. والخنساء امرأه تنسج بالدموع وجاهليّته تستوحى الصحراء في افكارها وصورها.

تذكر الخنساء صفات صخر في سلسلة الأبيات. ومرجع هذه الصفات المروءة العربية ، الشجاعة، الكرم، العفاف، إغاثته الملهوف والبذل للضيوف... وهكذا فصخر سيّد قومه. ينصّر الضعيف، ويهب المحروم، ويمشي الى الحرب بإقدام وتقطع الخنساء سلسلة الخلال لتقف وقفة تأمل وتروي لنا حكاية حالها، فتشبه نفسها الناقه العجول تطيف بالبوّ وتنوح، انها تعطف على إنها وتدرّ عليه، كان لم تدرّ سلخوا حوارًا وحسّوا جلده تبنًا.. فنأخذ بالحنين والاقبال والإدمار، ويعود اليها درّها وهذه أروع صورته من صور الحنان.

وتعود الخنساء الى سلسلة الصفات التي يتحلّى بها صخر والٍ وسّيّد، عقّار ونحّار، إنه دليل القوم وهادي الهداة. يجرّ الجيوش وهذا اشارته الى الشرف والشجاعة والسيادة.. والخنساء تبكي وهي ضعيفة منكسرة تقضي الحياة تحت

وطأة الدهر وحروفه. وهي المرأة التي تنافس الرجال وقد ارادت ان تنافس ايضاً أصحاب المعلقات.

امتازت قصيدة الخنساء بما يلي:

1- **العاطفه:** كانت العاطفة المتألّمة قوام شعر الخنساء. فهي مصدره، وهو التعبير عنها في معانيه وأخيلته والغازه. وفي عاطفتها الناطقة بالشعر حرارة وثوره، فهي لا تعرف حداً للبكاء وقد كادت العاطفه تودي بحياتها فتقتل نفسها لولا كثرة الباكين حولها والخنساء في عاطفتها صادقه مؤثره، تخرج من القلب الى القلب.

2- **الفكر:** تعود الفكره في شعر الخنساء. وقد وجهت الخنساء كل شاعريتها نحو الرثاء. وكلام العاطفه ليس فلسفه او تحليلاً، إنه صرخة ألم.. وجاءت الافكار مكرّره .

3- **الخيال:** وإن اضعفت العاطفه انطلاق الخيال بعض الضعف في شعر الخنساء، فقد ضخمت صورّه بالفلو الذي ابرزت فيه الافكار. والمبالغة في شعر الخنساء مقبولة وإن تجاوزت الحدود أحياناً، وذلك من وحي اللوعة والمحبة الأخوية الصادقة. والمبالغة ظاهره في الألفاظ، وقد اكثرت الشاعرة من استعمال صيغ المبالغة.

4- **الاسلوب والسهولة:** اسلوب الخنساء عاطفي، تكثر فيه مخاطبة العينين، وحصّهما على ذرف الدموع السخيّة، ومخاطبة الأخ المفقود وطيفه ما زال أمام الخنساء تناحيه وتتحدث اليه وتعدد محاسنه.. وكلام الشاعرة سهل لأنه كلام العاطفه المنطلقة من غير تكلف. وشعرها شعر العاطفه انه وليد عاطفه انثوية طفت على التفكير

5- الصور البلاغية:

- التشبيه كأن عيني فيضّ للتعبير عن غزارة الدمع
- الاستعارة المكنية: صوّرت الدهر بإنسان يقتل أو يطعن أو يؤذي
ذكرت المشبّه وحذفت المشبّه به وذلك لتقريب المعنى وتقويته الطباق: إحلاء وإمرار إعلان وإسرار.

التصريح في مطلع القصيدة: عوار الدار.

صيغ التأكيد: وإنّ صخرأ اذا نشتو لنّحار

اسلوب الاستفهام: قذى بعينك ام بالعين عوار. والمقصود تهويل الموقف، يعرف هذا الاسلوب يتجاهل العارف.

التجريد: قذى بعينك... جرّدت الخنساء من نفسها ذاتاً أخرى تخاطبها...

الخنساء شاعره مخضمة عاشت في العصرين الجاهلي والإسلامي وقد جاءت قصيدتها مفعمة بالحرارة والحزن والشكوى من الدهر، وتعداد مناقب صخر... في رثاء الخنساء تكرار، ومبالغة وموسيقى شعريه عميقه الأثر. أسلوبها أسلوب

العاطفة الصادقة النائرة المنفصلة الفاظها واضحة ولغتها سهلة جاءت في صور جميلة.

أسئلة

- 1- من تخاطب الخنساء في البيت الأول؟ تذكر الشاعرة ثلاثة أسباب تجعل الدموع تنهمر من عينيها.
ما هي هذه الأسباب؟ وأيها ينطبق على حالها؟
- 2- اذكر سببين لبكاء الخنساء صخراً في البيت الثالث.
- 3- تعبّر الخنساء في الأبيات الخمسة الأولى عن شدة حزنها على أخيها صخر وعن أثر ذلك عليها.
- عيّن ثلاثة مواضع يظهر فيها ذلك، ثم اشرحها مبيناً شدة حزنها وأثره عليها.
- 4- في البيتين الرابع والخامس تبالغ الخنساء في وصف حزنها من خلال تقديم صورة مركبه
بين هذه الصورة، وشرحها.
- 5- تعدّد الشاعرة مناقب الفقيد في الابيات (8-10)، بيّن وشرح أهم هذه المناقب.
- 6- في النص "رثاء صخر" استخدمت الشاعرة صيغ المبالغة في عدة مواضع.
عيّن اثنين منها، ثم بيّن الفرض من هذا الاستعمال.
- استعملت الشاعرة في الابيات (3-5) ضمير الغائب للحديث عن نفسها
- 7- اذكر غرضاً واحداً لهذا الاستعمال.
- 8- في العبارتين: إن صخراً الكافيناً، وإن صخراً لمقدام تستعمل الشاعرة اداتي التأكيد. لماذا؟
- 9- كأن عيني لذكراه... أسلوب خبري لفرض التقرير اعطِ مثلاً واحداً للأسلوب الانشائي.
- 10- ما هي أهمية استعمال الفعل المضارع في القصيدة؟
للمطالعة
بنت الشاطيء الخنساء (نوايغ الفكر العربي 17).
حنا الفاخوري: المشوق في الأدب العربي (الجزء الخامس).
شوقي ضيف: سلسلة فنون الأدب العربي الرثاء.
فؤاد البستاني: الخنساء (سلسلة الروائع).
قدرية حسين: شهيرات النساء في العالم الاسلامي.

